قلعة تعز .. معلم تاريخي قهر الزمان

صنعاء / سبأ:

لقلعة القاهرة الواقعة على أعلى مرتفع في مدينة تعز تأريخاً مليئاً بالوقائع التي تؤكد أنها كانت ساحة للصراع من قبل الحكام الذين تعاقبوا على حكم البلاد قديماً، حيث كانت بموقعها هدفاً لإحكام السيطرة على المدينة .

وكانت القلعة حصناً حصيناً لكل من لجأ إليها وكان آخرهم الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين عندما أحس بخطر حركة 1955 ، ومنها ضرب المواقع المهمة في المدينة وأخمد الحركة كليا ومن ثم اتخذها سجناً للرهائن من أبناء المشائخ حتى يضمن ولاءهم له .

وعلى الرغم من عدم وجود مراجع وثيقة تحدد التاريخ الذي بنيت فيه القلعة ، إلا أن البعض يرى أن القلعة تم بناؤها قبل ظهور الإسلام ، ويستدلون على ذلك بوقوع القلعة إلى جانب العديد من المواقع الأثرية التي تعود إلى ما قبل الإسلام ، منها منطقة « عقاقة « الواقعة غرب القلعة بمسافة 5 كيلومترات ، حيث عثر فيها على نقوش من عهد ملوك سبأ وحضرموت وذو ريدان وعهد الملك « كرب آل وتر « ، كما أن القلعة تقع على ممر القوافل من الجند إلى المناطق الساحلية « ميناء المخا».

ويرى هؤلاء أن المدينة تقع جنوب غرب القلعة كما هو مذكور في تاريخ الدولة الصليحية وهذا لا يأتي فجأة إنما هو تواصل ، كما أن الاستدلال بأسوار القلعة يعطي نتيجة قريبة مما سبق ذكره ، فنمط بنائها قريب من أسلوب العمارة في سد مأرب ومدينة براقش من حيث مقاسات الأحجار وعلو البناء وغير ذلك ، وقد بنيت القلعة بحس فني دقيق وعجيب ، بحسب علماء الآثار اليمنيين .

مدير الآثار السابق في مدينة تعز محمد المجاهد، الذي توفي مؤخراً يذهب في كتابه المعنون بـ « مدينة تعز .. غصن نضير في دوحة التاريخ العربي « إلى أن بناء حصن القلعة يعود إلى عهد الدولة الصليحية بين 426 - 532 ، حيث قام السلطان عبد الله بن محمد الصليحي ببناء القلعة لما تتميز به من موقع مهم بين حصني « صبر « و « التعكر « ، ومع أن الصليحيين كان لهم السبق في بناء القلعة ، إلا أن مدينة تعز « هبة « الأيوبيين ، حيث بنيت بعد وصول شمس الدولة « توران شاه « إليها العام 1173م .

ويشير المجاهد إلى أنه في الحقبة التالية للدولة الأيوبية توسعت مدينة تعز خاصة على أيدي الرسوليين ابتداء من 1229 ، وقد أتخذها المظفر عاصمة له وتوالت الأحداث حيث تعرضت القلعة لنزاعات السلطات المتعاقبة ، والتي كانت جميعها تسعى للاستيلاء على القلعة إلى أن أخذها الطاهريون العام 1443 ميلادية .

بعد ذلك قدمت الحملة المملوكية على اليمن العام 1515 واستطاعت الانطلاق من جزيرة كمران ، الواقعة على البحر الأحمر إلى تعز بسهولة ، حيث تم اقتحامها بنفس العام ، وبذلك أصبحت تعز حاضنة للمماليك فعاثوا فيها وأفسدوا ، بخاصة بعد السيطرة على القلعة .

وتشير المصادر إلى أن ظهور الإمام شرف الدين يحي بن أحمد جاء ليحل محل المماليك ، إلا أن إبنه المطهر لم يستول على تعز إلا في العام1535 .

التسمية

أطلق الناس والحكام وصفوة المثقفين والأدباء على القلعة عدة أسماء منها ما هو وارد في كتب التاريخ ومنها ما هو شائع بين العامة ومعروف لديهم ومن تلك الأسماء « القلعة الحمراء « الذي ورد في كتاب « المعتبر في فضائل جبل صبر « وذلك دال على علو مكانتها ووصفها صاحب « العقود اللؤلؤية « بأنها « حصن تعز المحروسة «.

ويقول « المجاهد « في كتابه المذكور آنفاً : « نظراً لأن الأكمة التي بدت صالحة لبناء حصن حصين في قمتها العالية لم تكن تحمل اسما متعارف عليه فقد سميت القلعة تسمية جديدة لها معنى لغوي جميل هو « تعز « وهذه التسمية شاعت في تلك الحقبة في عدد من قلاع اليمن مثل ظفار وعنس ومن ناحية ثانية فإن المنطقة العربية تتخذ أسماء لمواقع تستحدث من تلك الفترة ، فهذا الخليفة يبني عاصمة له هنا فيغيرها سلفه في موقع هناك « وهو بهذا الكلام يؤكد تغيير إسم القلعة في عهود الدويلات المتعاقبة ، لكن التسمية الشائعة والباقية إلى الآن ، هي : القلعة.

وتنقل كتب التاريخ وصفاً دقيقاً لموقع القلعة والبناء الذي اكتسب طابعاً متميزاً وكذلك القصور التي كانت تتوسط القلعة وعددها أربعة هي : دار الأدب ، دار الشجرة ، دار العدل ، دار الإمارة وهذا الأخير كان خاصاً بالملك، وثم كان قصراً خارج الباب الرسمي للقلعة من الناحية الجنوبية وهو خاص باستقبال الضيوف الموفدين على الملك من مناطق بعيدة أو دول مجاورة ولا تزال أساسات هذا القصر قائمة حتى الآن ، لكن بفعل النزاعات المستمرة والأمطار الغزيرة والكوارث الطبيعية كزلزال العام 736 هجرية طمست كثيراً من معالم القلعة وكان الزمن كفيلاً بهدم الباقي .

ومن الأحداث التاريخية التي شهدتها قلعة القاهرة المذبحة الرهيبة في عام 996 هجرية عندما تمرد بعض المعتقلين على « الآغا « واستغلوا احتفال الناس بجمعة رجب في الجند بما فيهم حاكم المدينة « صقر آغا « فقذفوا بالآغا من حافة السد الممتلئ إلى وسطه ورجموه بالحجارة حتى مات ، وكانت مجموعة أخرى قد أغلقت أبواب القلعة واستولت على الأسلحة وحينما عرف الحاكم عاد وألقى القبض على الثائرين وعذبهم ثم رفع الأمر إلى الوالي حسن باشا فأمر بدوره أن يوضعوا في أكياس ويلقى بهم من رأس القلعة في اتجاه مقبرة « علي بابا « في الجهة المشرفة على وادي مدام.

ما تبقى

على الرغم من مرور مئات السنين على بناء قلعة القاهرة فإن ثمة أثار باقية لا تزال شاهدة على ماضي هذه القلعة ، ومنها السور الذي يضم وحدة سكنية للخدم والملحقين بالقصر إضافة إلى الحرس ، ويبلغ سمك السور أربعة أمتار ما زالت الغرف موجودة فيه حتى الآن وكذلك نوبات الحراسة في أركان السور.

وفي باطن القلعة يوجد خزان مياه مقفل من أعلى وواسع من الداخل ، حيث يصل طوله إلى 8 أمتار وعرضه إلى 4 وعمقه إلى 10 أمتار وتتجلى عبقرية الباني في تلك المدرجات الدائرية التي تصفي المياه قبل نزوحها إلى الخزان وقد غطيت أحجار الخزان بمادة القضاض حتى تحتفظ المياه بنقائها .

وإضافة إلى ذلك يوجد تسعة مدافن للحبوب ، قسم منها متداخل يكتسب الحرارة بسرعة وقد أسست بأسلوب هندسي دقيق ، حيث الفتحات المتداخلة مربعة وتجويف كل مدفن ينحدر بشكل بيضاوي وتوجد في أسفل السور فتحات دائرية ومتباعدة قليلاً وضعت لإخراج المخلفات.وقد جرى ترميم القلعة أكثر من مرة وفي فترات متباعدة في عهد « توران شاه « ، حيث بنيت بجوارها مدرسة واستكمل بناء السور ، كما وسع بنائها الملك المظفر ووضع لها ثلاثة أبواب الأول للخاصة والثاني للضيوف والثالث يصل إلى الساحة المكشوفة وهو مخصص لعامة الناس .

الأتراك بدورهم قاموا بإجراء ترميمات في الجزء الجنوبي للقلعة ، حيث استخدمت في الترميمات مواداً كالتي أنشئت بها القلعة حتى تحتفظ بطابعها القديم حيث تستخدم أحجاراً من المكان نفسه .

وعلى الرغم من الاهتمام الذي توليه الهيئة العامة للآثار في اليمن لترميم قلعة القاهرة ، التي تحولت إلى أحد معالم مدينة تعز ، إلا أن شح الإمكانيات لا يزال يقف عائقاً أمام جهود الهيئة للحفاظ على الآثار التي صارت عرضة للتدمير في كل مكان .

مدير مدرسة عدن لتعليم قيادة السيارات لـ(14 أكتوبر):

المدرسة تعلم الأصول الفنية لقيادة السيارات

15 ٪ من أسباب الحوادث تعود إلى مجموعة عوامل الأمان

مدرسة قيادة السيارات تقدم الكثير من المعارف والخدمات للسائقين أو الذين يريدون تعلم قيادة السيارات، فهي تعلمهم مبادئ الميكانيكا، والإسعافات الأولية وكذا قانون المرور وإشارات المرور الدولية وغيرها من الأمور المتعلقة بفن القيادة لمعرفة المزيد عن ذلك التقينا بالأخ/ حمدي أنور محمود مدير مدرسة عدن لتعليم قيادة السيارات فقال لنا مدرسة قيادة السيارات تقسم النشاط فيها إلى تعليم القيادة وتعلم من أراد الأصول الفنية الصحيحة للقيادة ونقيم لها خمس محاضرات عن (مبادئ الميكانيكا، الإسعافات الأولية، قانون المرور، إشارات المرور الدولية وعلامات المرور) وإضافة إلى المحاضرات التوعية واللقاءات الصيفية فنحن نجري لقاءات مع الجامعات وننزل إلى المدارس الثانوية لإلقاء محاضرات توعوية،

لقاء/ ياسمين أحمد علي - تصوير/ عبدالواحد سيف

وقد القينا بالتعاون مع الأخ/ مدير المرور وضباط قسم التراخيص محاضرات توعوية لجميع طلاب محافظة عـدن.... وكذا لقينا كل التجاوب من المواطنين لأنهم شعروا أن المدرسة في مصلحتهم والإدارة العامة للمرور بالتعاون مع مدرسة القيادة تسعى إلى المحافظة على حياة المواطن في الأول والأخير، فنحن لدينا (15 ٪) من أسباب وقوع الحوادث تعود لمجموعة عوامل الأمان على الطريق وهي الإضاءة، مجموعة البري(الكابح)، أما النسبة الكبرى من الأسباب وهي (85٪) فتقع على عاتق السائق، لذلك يجب أن يكون مؤهلاً للتعامل مع الحالات الصعبة التي تؤدي إلى الحوادث على الطريق.

تراخيص قيادة السيارات

أما فيما يخص رخصة السياقة فالقانون أشترط على طالب الرخصة أن يكمل 18 عاماً وهذه النقطة مفعلة تماماً، وإضافة إلى شرط اللياقة الصحية وهذه يحددها مستشفى الشرطة، وكذا إجادة القيادة، فمن يجيد القيادة (50 - 60 ٪) لا يحصل على الرخصة لأن حياة المواطنين غالية ويجب أن نحافظ عليها بالإضافة إلى معرفة قواعد وآداب وإشارات المرور... فإذا توفرت فيه هذه الشروط يحصل على الرخصة بكل يسر.

وأضاف أن أي مواطن يريد الرخصة يجب أن يحضر المحاضرات ونحن نرحب بمن لديهم رخص بدخول المحاضرات مجاناً إذا كانوا يريدون الاستفادة وكل من لديه أسئلة تتعلق بقيادة السيارات أو نظام المرور يشرفنا أن نجيب عنها وهي ضمن الخدمات المجانية المقدمة للمواطنين.

أما عن رسوم رخصة القيادة فقال: رسوم تجديد الرخصة (2000) ريال، ورسوم استخراج رخصة لأول مرة (6000) ريال، أما تعليم القيادة في دورة طويلة لمدة أسبوعين فرسومها (30) ألف ريال وأضاف الأخ/ حمدي أنور محمود مدير المدرسة أن الأسبوع الأول يتضمن محاضرات لمدة ساعة يومياً، وهناك مواعيد تناسب جميع الظروف، فالمحاضرات الأولى من الساعة 9 حتى الساعة 10 أو من 11 حتى 12، أو من 5 - 6 والأسبوع الثاني لمدة ساعتين مع المدرب بالنسبة للرجال ومع المدربة بالنسبة للنساء، وفي أعقابها يجري امتحان عملي للطلبة عن القيادة وآخر شفوي عن كل ما تلقوه في مدرسة القيادة.

وأخيراً أوجه كلمة للسائق: حافظ على نفسك لأنك عندما تحافظ على نفسك ستعرف كيف تحافظ على غيرك، أعط الطريق حقه، والطريق العام ملك للجميع والأولوية للمشاة، والتزم بقواعد وآداب المرور تنج بنفسك ومن معك.

حمدي أنور محمود